تفتح ملف.. "العاصمة الأسوأ"

بغداد إلى أين؟

((الحلقة الثالثة عشرة))

الزهور تظهر بين عشية وضحاها...وأشخاص تلتقيهم صباحا وعند الظهيرة ترفعهم فوق سطح سيارة لتودعهم إلى مثواهم الأخير في مقبرة وادي السلام ...هكذا هو الحال في العراق... ورود القرنفل والكاردينيا تطل من وراء أسلاك شائكة على نقطة تفتيش...ويمر صبي رثّ الملابس يتطلع الى دولاب الهواء المغروس في ارض الزوراء ...يدور بأفكاره مع دورانه البطيء ويسرح بمخيلته إلى داخل ذلك المكان...الوقت ليس ملكه بيع المناديل أكثر إلحاحاً من المتعة...وهل توجد في بلادي متعة ؟

المتنزهات.. حراس متطفلون وخدمة فقيرة!

السينمات تحولت إلى مذاخر أدوية! والمسارح سوق هرج!

الزوراء الحديقة الوحيدة.. وأسعار مدن الملاهي مرتفعة

□ بغداد/ وائل نعمة
□ عدسة/ أدهم يوسف

"المناخ صعب ، والتربة مالحة،والعنف لن يتوقف ...سقط بستاني ...انه شهيد من اجل تجميل بغداد!"، ويضيف مهدي كاظم ،٣٤ عاما،يشرف على إحدى حدائق متنزه الزوراء: "مبدأ بلدي، مقابل كل قطرة من الدم العراقي ، نحن نزرع شيئا من النباتات الخضر ...واحد يعطي خيبة الأمل ، والآخر يزرعه".

الحديقة الوحيدة

الزوراء الحديقة الوحيدة العاملة في بغداد، كان طموح القائمين عليها أن تصل إلى المعيار الدولي قبل عام ١٩٨٠، لكن بعد ذلك جاءت الحرب بين العراق وإيران وتراجع الأمر ، "وكان أمل العراقيين كبيرا لاستعادة الخضرة إلى بغداد مباشرة بعد سقوط النظام" ، ويتابع مهدي "لسوء الحظ ، ساهم الإهمال في تدمير ما بقي وهو قليل جدا".

تنازل اللون الأخضر إلى الصحراوي الذي راح ينتشر بسرعة كبيرة محتلا أراضي واسعة ومنتصفات الأرصفة التي كانت لابد من أن تكون بلون أكثر بهجة،والمساحات الفارغة تجد أمانة بغداد الحل الأمثل للتغلب على وجودها بوضع الاسمنت وجعلها قطعة رمادية صامتة .يكتشف سكان العاصمة شحة أماكن الراحة في أوقات العطل والأعياد،وإن وجدت فإنها تكون متواضعة جدا.الزوراء مثلا ،مساحة كبيرة،مع مستوى جيد من المساحات الخضر، والأمانة تنفق الكثير من الأموال من اجل الاهتمام بها،ويبدو الجهد واضحا في الكثير من مرافقها ،ولكن عند البوابة يفصل الزائرون إلى رجال ونساء للتفتيش، والمسافة بينهم أكثر من ٣٠ مترا،يضطر صاحب العائلة إلى ترك بناته كل تلك المسافة لفضولية رجال الشرطة الذين يتصيدون في الماء العكر! وفي الداخل لا تتخلص من نظرات الشك التي تلاحق الجميع من قبل بعض الشباب الذين أنيطت بهم مهمة حفظ النظام ...الغريب وحسب قول أحد زائري المتنزه "الشرطة أو حافظو النظام في الداخل لا يهتمون بمن يرمي الأوساخ أو يعبث بممتلكات الحديقة ...إنهم يتدخلون بخصوصيات الزائرين".

دولاب فوق أنقاض بغداد!

المتنزه ضم مؤخرا اكبر ثاني دولاب هواء في الشرق الأوسط ، ويبلغ ارتفاعه ٦٠ مترا ويحتوي على ٤٠ كابينة تسع بمجملها ٢٤٠ شخصا. وقد تم تغليف الكابينات بالزجاج بشكل يحمي الراكب من خطر السقوط،وبلغت الكلفة الإجمالية للدولاب ستة ملايين دولار.يذكر أن مشروع دولاب الهواء في متنزه الزوراء يعد جزءاً من سلسلة مشاريع استثمارية ترفيهية نجحت أمانة بغداد في توقيع عقودها مؤخراً مع عدد كبير من الشركات المستثمرة المحلية والأجنبية.

في مدينة ألعاب الزوراء حافظت معظم أسعار التذاكر للألعاب المختلفة على الخمسة آلاف دينار، ومؤخرا خفضت لأربعة آلاف ، يشير أبو محمد إلى انه يراوغ لأيام حتى لا يجلب أطفاله الأربعة إلى المتنزه . مضيفا " كل طفل يريد أن يكرر اللعبة لمرتين وثلاثة ويكون المجموع ١٢ ألف دينار لكل طفل ...ينتهي مشوار الجمعة مع متطلبات الأطفال بأكثر من ١٠٠ ألف دينار".

إلى ذلك، بدأت أمانة بغداد بناء متنزه جديد على جانب الرصافة بهدف زيادة المرافق الترفيهية في العاصمة. يشير المتحدث باسم أمانة بغداد حكيم عبد الزهرة إلى ان " الأمانة تهتم في تطوير السياحة وأماكن الترفيه في بغداد نظرا لأهمية وتأثير ذلك في الوجه الحضاري للمدينة ، وتعزيز جهود الأمن والاستقرار".المشروع بتكلفة كلية تبلغ حوالي ٤٠٠،٠٠٠ دولار، على أن ينجز في غضون ستة أشهر. ويغطي المشروع مساحة حوالي خمسة دونمات وتشمل الحدائق وركوب الخيل ، ومقاهي ومطاعم الوجبات السريعة، ومرافق الخدمات المختلفة.

وقامت أمانة بغداد بمنح تراخيص استثمارية عديدة هذا العام لبناء مشاريع ترفيهية مختلفة، وقد وصل العمل في هذه المشاريع مراحل متقدمة ، مثل مشروع أرض سندباد قيد الإنشاء في ملاهي الرصافة،ويقدر المشروع على أرض السندباد بـ ٢٥ مليار دينار، ويجري بناؤه على مساحة حوالي ١٥٠،٠٠٠ متر مربع. فضلا عن مشاريع استثمارية أخرى تجري في بغداد وتشمل حديقة الزوراء الثانية في منطقة الشعب على قطعة من ١٠٠٠ دونم ، ومشروع مدينة الحدائق ضمن غابة بغداد الشمالية على مساحة ٥٥٠ دونما ، ومشروع المدينة المائية على مساحة ٣٥٠ دونما.

وكان أمين بغداد صابر العيساوي قد أشار في وقت سابق الى ان مجلس الوزراء وافق على بناء مشروعين ترفيهيين كبيرين في بغداد، من المنتظر أن يطرحا للاستثمار قريبا؛ الأول سيتضمن إنشاء مدينة العاب مائية على مساحة تصل إلى ٤٠٠ دونم، في منطقة الصابيات مجاور منطقة الشعلة، وهي في مرحلة تدقيق عروض المستثمرين، أما المدينة الترفيهية الثانية فهي اكبر من متنزه الزوراء بمرة ونصف.

وأوضح العيساوي أن بغداد ستشهد خلال السنتين القادمتين تطورا ملحوظا في عدد الأماكن الترفيهية، وسيضاف إلى متنزه الزوراء ومدينة الأعراس وجزيرة بغداد قرابة الـ ١٥ مشروعا ترفيهيا، منها مدينة العاب ضخمة ضمن المشروع السكني على ارض معسكر الرشيد، وكذلك مدينة ترفيهية ضمن مشروع مدينة المستقبل السكنية خلف الغزالية، فضلا عن مشروع تطوير وتأهيل مدينة العاب الرصافة بعد ان أحيلت الى إحدى الشركات الاستثمارية، موضحا وجود أعمال تأهيل وتطوير وصيانة تنفذها ملاكات الأمانة الهندسية والفنية في المنطقة المعروفة سابقا باسم غابات بغداد التي ستتحول قريبا إلى مدينة الحدائق الترفيهية.

شرطة لا سياحية ...

يبدو أن أكثر المشاكل التي ترافق أماكن التسلية في العاصمة تتعلق بالحرس ! الشرطة المتواجدة في بوابات بحيرة الجادرية تتعمد إزعاج الداخلين بأسئلة غير مبررة ومستفزة،فضلا عن اخذ مبالغ مضاعفة لتذكرة الدخول على الرغم من وجود يافطة في بوابة البحيرة تؤكد عدم إعطاء أكثر من مبلغ ٥٠٠ دينار ...ومؤخرا رفع هذا التحذير!وفي الداخل يتعمد الأمن الخاص بالمدينة السياحية متابعة كل ثنائي (رجل وامرأة) واقتناص الفرصة في الانقضاض عليهم وتهديدهم بفضحهم وسحبهم إلى مركز الشرطة – اتفقنا أو اختلفنا في سلوكهم – ولكن هذا لا يعطي الحق للشرطة في أن تسحب كل الأموال التي في جيب الثنائي، ومن ثم تتركهم يفعلون ما يريدون وكأنهم غير موجودين.

سيرك عالمي!

لا تغيب الأسعار المبالغ بها عن هموم العوائل، وتؤكد هديل طاهر (موظفة) أن سيركا يدعي العالمية اتخذ من بحيرة الجادرية مكانا لعروضه، وحدد سعر التذكرة ما بين ٢٥ و ١٥ ألف دينار – وفقا لمكان الجلوس – مضيفة " على الرغم من تواضع العرض إلا أن الأسعار مبالغ بها ...بالونة للطفل بخمسة آلاف دينار ...وقنينة الماء بـ١٠٠٠ دينار".

أما حدائق أبي نؤاس التي أعيد افتتاحها في الشارع الذي يحمل الاسم نفسه في عام ٢٠٠٧ كانت قد مولته الولايات المتحدة بـ ٥ ملايين دولار،في إطار إعادة بناء الأماكن العامة التي أصبحت تمثل حجر الزاوية في الخطة الأمنية التي أطلقت في العام نفسه من قبل الجيشٍ الأميركي ...الحديقة تحولت تدريجيا الى مكب للنفايات،والإهمال صار المنظر السائد... احترقت المصابيح التي كانت تنير أروقة الحدائق وساد الظلام ...وتناثرت قناني الماء وقشور الكرزات وأعقاب السكائر.

الترفيه أو مأوى للمشردين؟!

"نريد مياه الشرب والكهرباء... نحن نريد الأمن والحياة الكريمة،لسنا بحاجة إلى مدن سياحية "،يتحدث سمير عزاوي "متقاعد" عن حال بغداد مضيفاً " الخدمات سيئة جدا ونحن العاصمة الأسوأ في العالم ...نحتاج إلى غيرة وضمير في إعمار العاصمة".

بالمقابل يرى البعض أن العراقيين هم بحاجة حقيقية للتسلية ولتغيير الجو الذي عاشوا فيه طوال السنوات الماضية والابتعاد عن جو الانفجارات . فيما يقول ليث محمود،طالب جامعي: " الحاجة لا تقتصر على الملاهي والحدائق ... نحن بحاجة أيضا إلى الملاعب والقاعات الرياضية ، وأماكن الترفيه الاجتماعية للأطفال".

وهناك من يرى أن بغداد تحتاج لبناء مساكن للناس الذين يعيشون تحت سقوف مصنّعة من ألواح الورق والمعادن والقصدير. يقول مهند كاظم (مهندس): " ليس من الضروري جدا بناء المدن الرياضية في حين أن هناك حاجة لإيجاد مكان للعوائل النازحة التي لا تملك مأوى... قدمت هذه العوائل الكثير من الشكاوى والمطالب للحصول على مساعدة ودعم من الحكومة ، ولكن لم تكن هناك أية استجابة" . ربما ما يذهب إليه كاظم صحيحا،ليس من المعقول أن نهتم بوسائل التسلية بينما هناك أشخاص لا يملكون مكانا للنوم؟ هذه ليست عادلة!

سينمات إلى مذاخر أدوية

جانب آخر من وسائل التسلية الغائبة في العاصمة هو السينمات والمسارح ... فلم يعد شارع السعدون المكتظ في سبعينيات القرن الماضي بدور العرض سوى بـ(سميراميس وأطلس)، ومازالتا تصارعان الاندثار والتحول الى مشاريع تجارية أو مذاخر أدوية كما الأخريات ، في حين كان عدد دور العرض السينمائي في البلاد عام ١٩٦٤، كما ذكرها جورج سادول في كتابه (تأريخ السينما في العالم) هو (٨٦) دار عرض، واستعرض مهدي عباس في كتابه (كتابات في السينما العراقية) عن تناقص هذا العدد عام ١٩٩٤ إلى (٧٠) دار عرض، وقد وضع مقارنة بين الفترتين وعدد الدور، فكان نصيب كل ربع مليون عراقي دار عرض واحدة.

بعد أحداث ٢٠٠٣ امتلأت معظم سينمات العاصمة بأفلام لم يكن من المعقول عرضها في فترة حكم "صدام " ، وكان في السابق الخيار الوحيد هو الفيلم "التركي" ذو الألوان الفاتحة ، وعلى الرغم من أن هذه الأفلام في معظمها قديمة جدا بالمقارنة مع ما يتم عرضه في دول الجوار إلا أنها كانت تجتذب عددا من المشاهدين.

احد العاملين في سينما النجاح إحدى السينمات التي تعمل عكس الريح في منطقة الباب الشرقي يؤكد أن "صدام كان يتحكم في عرض جميع الأفلام من قبل وزارة الإعلام ، وأما الآن وبغياب الوزارة فقد خلقت وضعا فضفاضاً"، وسلام يعمل في السينمات منذ أكثر من ثلاثين عاما يقول "يمكن أن يظهر أي نوع من الأفلام الآن ، وإن كان هناك بعض من الأفلام الرومانسية التي قد أظهرت بعض الأجزاء (الممنوعة) ، ولكن الآن يمكن أن ترى الصفقة برمتها" . ويعترف بأنه لا يحب أن يرى أفلام اليوم، المعروضة في دور العرض على الرغم من عمله فيها ،وهو لا يزال يحتفظ بتذكرة من رحلة إلى سينما سندباد في عام ١٩٦٨ في محفظته. ويضيف "أشعر بالاشمئزاز مما هو معروض في الوقت الحاضر، إن نوعية وروح الأفلام اللتين اعتدنا عليهما مفقودتان الآن ، ولا استطيع مشاهدة هذه الأفلام ،وجيلي لن يتقبل هذا".لافتا إلى أن "الأفلام المثيرة" هي النوع الوحيد الذي من شأنه أن يوجد المال في سينمات بغداد في الوقت الراهن.

يشير مدير دائرة السينما والمسرح شفيق المهدي إلى ان المشكلة ليست في أبنية دور العرض فحسب، بل في إمكانية وصول العوائل إلى السينما، ويوضح " في حالة توفر عرض سينمائي فإن الجمهور لن يكون مهيئا له، لأن العروض دائما ترتبط بالمساء والعوائل لا تستطيع أن تأتي في ذلك الوقت ،وإن وصلت فإنها تفكر في طريقة رجوعها".

في حين يجد الممثل طه سالم أن سبب تدهور حالة دور العرض السينمائي يعود إلى وجود تيارات دينية متطرفة أخذت على عاتقها تهديمها بكل الوسائل. ويشير إلى أن"الإصرار على إبعاد الشباب عن الموسيقى والفن سيؤدي إلى نتائج عكسية لا تحمد عقباها"، ويعتقد أن الحروب العبثية التي مر بها العراق في الزمن السابق وما آلت إليه الأمور بعد ذلك أدت إلى تقليص دور العرض السينمائي.

ومع انتشار الصحون اللاقطة (الستلايت) وأجهزة العرض المتطورة على نطاق واسع في العاصمة، ومع وجود أسواق رائجة لأحدث الأفلام العربية والأجنبية على أقراص مضغوطة وبأسعار زهيدة، منْ يفكر يا ترى بالدخول إلى دور السينما؟ الجواب يجده من يقوم بجولة على دور العرض في بغداد، التي كانت حتى وقت قريب تتجاوز الأربعين دارا، ولكن الشغال منها في الوقت الراهن لا يتجاوز الخمس دور، موزعة على أماكن متقاربة في قلب العاصمة بغداد.

مسارح ...سوق هرج

أما في ما يخص المسارح فجواب بعض الحاضرين إلى العروض التي أقيمت مؤخرا في العاصمة يكفي لتوضيح شكل المسرح في بغداد ، " إنها مهزلة ...سوق هرج ،والحاضرون غير مؤدبين ويتفوهون بألفاظ بذيئة " ، يقول رب عائلة كان خارجا من إحدى العروض المسرحية " التذكرة بـ١٥ ألف دينار، والعرض وحالة المسرح لا يساويان دينارا واحدا ...إنها حفلة رقص".

فيما كشفت مسؤولة الشؤون الثقافية في السفارة الأميركية لدى بغداد عن أن "القسم الثقافي في السفارة الأميركية لديه خطة لإعادة تأهيل مسارح وسينمات بغداد والمتحف العراقي".

وقالت سوزان بودن في حديث صحفي ،في وقت سابق ، انه تم البدء فعلا لإعادة تأهيل قسم المسرح في كلية الفنون الجميلة،وإعادة تأهيل وإعمار مسرحي الرشيد والوطني، وستسهم في إعادة الحياة لدور العرض السينمائية في بغداد".

وأضافت أن "الولايات المتحدة رصدت ملايين الدولارات لإعادة تأهيل آثار بابل، وإعادة إعمار المتحف العراقي، كما قامت بتأسيس معهد الآثار والتراث في أربيل"، مؤكدة أن "الانسحاب الأميركي من العراق لن يؤثر في العلاقات الثقافية بين البلدين أو التبادل الثقافي للطلبة بل ستكون علاقتنا الثقافية والعلمية مع بغداد طويلة الأمد".

من جانبه، أكد شفيق مهدي مدير عام دائرة السينما والمسرح عن قرب البدء بحملة "كبرى" لإعمار مسارح بغداد المخربة منذ ٢٠٠٣، تشمل مسارح ساحة الاحتفالات والرشيد والمنصور وأجزاء متبقية من المسرح الوطني.

شرطة بحيرة الجادرية: يبتزون العشّاق في وضح النهار

حدائق أبي نؤاس: نفايات في النهار وظلام دامس في الليل